واقع الترجمة الروائية في الجزائر
- الدراسات الأكاديمية نموذجا -

أحلام صغور
مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن
جامعة وهران1 - الجزائر -
seg.ahlem@yahoo.com

ملخص:

إن البحث الذي نحن بصدد تقديمه هو جزء من عمل ضخم يندرج ضمن مشروع حول **"الرسائل الجامعية في تخصص الترجمة في الوطن العربي"**. وهي دراسة تسعى في جوهرها، إلى تسليط الضوء على مختلف الرسائل الجامعية التي عنيت بمجال الترجمة في شقيها النظري والتطبيقي كما تحاول أيضا، إحصاء كل الدراسات الجامعية المسجلة في الوطن العربي، وتصنيفها وفق خطة ممنهجة. إلا أننا في هذه الدراسة اخترنا تناول واقع الترجمة الروائية في الجزائر حاصرين الدراسة في أطروحات الماجستير والدكتوراه المناقشة عبر تراب الوطن.

كلمات مفتاحية: الترجمة الأدبية؛ الرواية الجزائرية؛ الدراسات الأكاديمية؛ التصنيف التيماتولوجي؛ النص الأدبي؛ البعد الثقافي.

1. تقديم:

مع التطور العلمي والتكنولوجي والدخول في سوق العولمة، اليوم، ظهرت شروط جديدة وضوابط معينة لمواكبة سرعة هذا التطور. وفي انتظار لغة عالمية مأمولة، تحل الترجمة مركز الصدارة كأنجع وسيلة تكفل الاندماج والولوج في العولمة وبالتالي مواكبة الركب العالمي والمعرفي.

فمن ضرورات العصر أن ينفتح العالم العربي على الثقافة الأجنبية برمتها لغة وفكرا. لقد اندثر العهد الذي كانت فيه اللغتان الفرنسية والإنجليزية تكادان تشكلان المنفذين الوحيدين على الثقافة العالمية، فالأخذ من مصادر الحياة الجديدة أينما كانت أمر محتوم، وترجمة كتاب ما عبارة عن نافذة نطل منها على دنيا العقل والإبداع.ناهيك عن التطور العلمي والتكنولوجي والدخول في سوق العولمة، الأمر الذي أملى شروطا جديدة وضوابط معينة لمواكبة سرعة هذا التطور. وفي انتظار لغة عالمية مأمولة، تحل الترجمة اليوم مركز الصدارة كأنجع وسيلة تكفل الاندماج والولوج في العولمة وبالتالي مواكبة الركب العالمي والمعرفي.

II- طبيعة الدراسات الأكاديمية في مجال الترجمة:

لقد زادت الدراسات الترجمية قوة وحضورا في الوسط العلمي والثقافي العربي، وأصبحت منذ السبعينيات دراسات أكاديمية قائمة بذاتها، لها رابطاتها المختصة ودورياتها المنتظمة وعدد متعاظم من الرسائل الجامعية المسجلة بأقسام ومعاهد الترجمة في مختلف الجامعات العربية.

ومن هذا المنطلق التفتت الدراسات الأكاديمية أكثر إلى هذا المجال الخصب وسجلنا حاليا ارتفاعا جليا في مستوى نسبة الدراسات الترجمية الأكاديمية كما وكيفا بأقسام الترجمة المنتشرة عبر تراب الوطن.

والبحث الذي نحن بصدد تقديمه هو جزء من عمل ضخم يندرج ضمن مشروع حول **"الرسائل الجامعية في تخصص الترجمة في الوطن العربي"**. وهي دراسة تسعى في جوهرها، إلى تسليط الضوء على مختلف الرسائل الجامعية التي عنيت بمجال الترجمة في شقيها النظري والتطبيقي كما تحاول أيضا، إحصاء كل الدراسات الجامعية المسجلة في الوطن العربي، وتصنيفها وفق خطة ممنهجة. إلا أننا في هذه الدراسة

اخترنا تناول واقع الترجمة الروائية في الجزائر حاصرين الدراسة في أطروحات الماجستير والدكتوراه المناقشة عبر تراب الوطن.

وما دفعنا إلى مثل هذا الانشغال هو ذلك الدفق اللامتناهي من الدراسات الجامعية في تخصص الترجمة، الذي بات يستقطب اهتمام المختصين وغير المختصين، إذ بات لزاما علينا أن نقف وقفة علمية على واقع هذه الدراسات الأكاديمية في هذا المجال، وذلك بحصر كل ما تم إنجازه إلى يومنا من دراسات جامعية، وما ينبغي إنجازه فعلا لكي تقوم الترجمة بدورها المأمول والمنتظر ألا وهو خدمة الحضارة الإنسانية وخدمة الأدب الجزائري أيضا على وجه الخصوص .

إن الاهتمام المتنامي بعلم الترجمة، يثير إشكالات جديدة، ومحاور مستحدثة، تضطلع المؤسسات الأكاديمية اليوم بالهدف الأسمى لتحليلها ودراستها بهدف الوقوف على إجابات علمية ودقيقة تسعى إلى بلورة درس منظم للترجمة وبعيد عن التلقائية والارتجال. درس يستجيب للتحدي الحضاري الذي يعرفه العالم العربي في العصر الراهن.

وللوقوف على واقع الترجمة الأدبية في الجامعة الجزائرية كان لزاما علينا أن لا نتناول هذا التخصص بمعزل عن التخصصات الترجمية الأخرى لكي نتمكن من تحديد موقعه من هذا النتاج الفكري وما مدى استقطابه لاهتمام الباحثين الجزائريين مقارنة بغيره من التخصصات. ولبلوغ هذه الغاية وجدنا أنفسنا أمام اختيارين اثنين، إما ترتيب الرسائل الجامعية ترتيبا كورنولوجيا يسمح بمتابعة مسار تطور هذه الدراسات على مدار السنوات، أو تصنيفها تصنيفا تيماتيكيا Thématique وذلك انطلاقا من الموضوعات المعالجة في هذه الرسائل، وإن كنا نميل إلى الاقتراح الثاني، لأنه لن يسمح لنا بتتبع تطور الدراسات الجامعية في مجال الترجمة فحسب، بل إنه يتيح لنا أيضا إمكانية استكشاف مختلف

الحقول المستحدثة في مجال البحوث الترجمية وأيّها أكثر استقطابا للبحث من غيرها.

وهكذا، كانت الانطلاقة من خلال تجميع بيبليوغرافي لمختلف الرسائل الجامعية المسجلة في مختلف الجامعات الجزائرية التي قمنا بزيارتها (جامعة وهران - الجزائر - باتنة...) في شقيها النظري والتطبيقي. واللافت للنظر من الوهلة الأولى أن هناك ارتفاعا ملحوظا في نسبة دراسات الماجستير والدكتوراه المسجلة في تخصص الترجمة في السنوات الأخيرة. ولعل مرد هذا الاهتمام إلى تأصل الوعي بدور الترجمة في بناء صرح أي نهضة ثقافية حضارية أين ومتى وجدت. وهي مرحلة قطعنا منها شوطا كبيرا.إلا إن القول بأننا استوفينا تجميع كل الرسائل المناقشة في الجامعات الجزائرية هو ضرب من المغالاة، لسببين جوهريين هما:

أولا: شساعة المساحة الجغرافية التي تغطيها الدراسة،وبالتالي كثرة الجامعات المنتشرة على التراب الوطني.

ثانيا: كثرة الإقبال على هذا العلم، بمعنى كثرة الدراسات التي يستقطبها هذا التخصص نظرا لطبيعته من جهة، ونظرا لأهميته من جهة أخرى.

وبالإضافة إلى التجميع البيبليوغرافي، شرعنا بالتوازي في المرحلة الثانية من البحث، وهي مرحلة التصنيف التيماتيكي. إنها مرحلة حساسة تهتم بتصنيف الرسائل الجامعية حسب الحقول المعرفية التي تنتمي إليها.فالتجميع البيبليوغرافي المنجز سمح لنا بتحديد نظرة بانورامية شاملة عن مختلف الحقول والمجالات التي التفتت إليها الدراسات وذلك، انطلاقا من ترتيب أولي للرسائل الجامعية حسب الحقول العلمية التي تنتمي إليها، بمعنى حسب المضامين والموضوعات التي تناولتها.

وآخر خطوة في دراستنا هذه تتمثل في مرحلة تحليل ودراسة مضامين الأعمال المجموعة، وحري بنا أن نشير إلى أنها ليست بالعمل الهين، لأن ذلك يتطلب إطلاعا كاملا وشاملا بالأعمال المجموعة، وإخضاعها لفحص مجهري دقيق؛ بقراءتها قراءة متفحصة، متبصرة، وتحليلها تحليلا علميا، لبلوغ استنتاجات علمية على قدر من الدقة .

ونشرع هنا في تقديم تصنيف تيماتولوجي لبعض الدراسات الأكاديمية المتوفرة حسب المضامين التي تناولتها معتمدين في تصنيفنا ترتيب هذه الرسائل الجامعية حسب الحقول العلمية التي تنتمي إليها أي حسب تخصصاتها، ومن جملة الحقول التي صنفناها نذكر:

- حقل تعليمية الترجمة.
- حقل اللّسانيات والترجمة.
- حقل التلقي والترجمة.
- حقل الترجمة والـتأويل.
- حقل الترجمة الأدبية.
- حقل ترجمة النص المقدس.
- حقل الترجمة الآلية.
- حقل الترجمة والمصطلح.
- حقل الترجمة المتخصصة.

ومن خلال هذه الدراسة الإحصائية لمختلف الدراسات الأكاديمية المناقشة على مستوى التراب الوطني نستطيع القول أن الترجمة الأدبية

كانت تحتل حصة الأسد من الاهتمام ولفترة طويلة من الزمن، غير أن درجة هذا الاهتمام قد تراجعت في السنوات الأخيرة فاسحة المجال إلى التخصصات الأخرى .فالحاجة الثقافية والفكرية إلى علم الترجمة والتي كانت بالأمس وراء ازدهاره وتطوره،أصبحت اليوم أكثر تضاعفا وإلحاحا، لاسيما مع التطور الراهن في كل المجالات العلمية والفكرية، وظهور التخصصات المختلفة والتخصصات الفرعية Les sous disciplines، مما أدى إلى ظهور ما اصطلح عليه اليوم **"بالترجمة المتخصصة".**

وهي الترجمة التي تُعنى بتخصص بعينه دون غيره، فهذه الترجمة القانونية، وهذه الترجمة الأدبية، وتلك الترجمة الاقتصادية وغيرها...تتفرد هذه الترجمة عن الترجمة العامة في تكوين المترجم عينه الذي ينبغي أن يتبع تكوينا متخصصا في هذا الميدان أو ذاك. فالمترجم المتخصص هو المترجم الذي ينهل من ذلك التخصص، فيستوعب مضامينه، ويتقن خصائصه الأسلوبية والتركيبية، وأدواته المصطلحية والإجرائية إلى جانب معرفته بعلم الترجمة وتقنياته وأساليبه وغيرها من شروط التخصص في هذا العلم. ومن ثمّ باتت الترجمة المتخصصة لغة القرن الثالث التي تواكب العصر ثقافيا وإيديولوجيا وتقنيا.

إن الترجمة المتخصصة تصنيف عام يندرج ضمنه تصنيف أدق لمختلف التخصصات التي عنيت بدراسة الباحثين مثل:

- ترجمة النص الفلسفي.
- ترجمة النص القانوني.
- ترجمة النص الإشهاري.
- ترجمة النص الاقتصادي.

غير أن التصنيف الذي توصلنا إليه ليس تصنيفا ثابتا، وإنما هو تصنيف تقريبي اعتمدناه من خلال بيبليوغرافيا الرسائل الجامعية التي وفقنا في جمعها وتجميعها، وهي لا محالة قابلة للزيادة والإثراء في كل لحظة، لأنه من المغالاة الإقرار أننا نجحنا في حصر كل البحوث والدراسات الأكاديمية، نظرا إلى شساعة الوطن العربي بأقطاره المختلفة، وجامعاته المتعددة – مثلما أشرنا إليه آنفا، ومحدودية الفترة الزمنية التي استغرقها هذا البحث. لذا يعد أي إقرار بشمولية وكمال عملنا التجميعي ضربا من المغالاة.

غير أننا حاولنا الاجتهاد قدر الإمكان في تحديد المجالات العلمية والحقول المعرفية التي تناولتها هذه الدراسات، علما أن بعضها متقارب المادة، متداخل المضامين، مثل حقل "اللسانيات والترجمة" الذي يضم عدّة محاور متقاربة، قابلة للتداخل والتشابك، غير أننا حاولنا قدر الإمكان توخي الحذر والحيطة في تناول هذه الدراسات. وما يهمنا في هذه الدراسة هو الترجمة الأدبية.

II- الترجمة الأدبية:

تأتي الترجمة الأدبية في مقابل الترجمة العلمية، وهي تعنى بترجمة الأدب بكل أنواعه المختلفة مثل: الشعر، القصة، الرواية، المسرحية... وهي تعد نشاطا ذا خصوصية وتفرد؛ لذلك تطورت دراساتها وازدادت قوة وثباتا، وأصبحت منذ نهاية السبعينيات دراسات أكاديمية قائمة بذاتها، لها منهجيتها الخاصة وعدد متزايد من رسائل الدكتوراه المكتوبة في موضوعاتها، ولها دورياتها ورابطاتها المهنية المختصة بها.

وتنبع خصوصية الترجمة الأدبية من خصوصية النصوص الأدبية نفسها؛ فالأدب ليس مجرد رصف لكلمات رنانة، وتعابير منمقة؛

إنه مرآة تعكس حضارة الشعوب وثقافتها، كائن حي وحيوي يؤثر ويتأثر؛ لذلك فإنه يعيش أثناء مغادرته لغة المنشأ إلى اللغة المستهدفة تغيرات دلالية وأسلوبية وجمالية تؤدي إلى وصف الترجمة بالخيانة، " ولكن خيانة كهذه هي من صميم عملية الترجمة التي تظل "من أنبل النشاطات الإنسانية" على حد قول الأديب الألماني الكبير (غوته). أما القول إن كل ترجمة "خيانة" فهو قول يقوم على سوء فهم لطبيعة العملية الترجمية نفسها.

فالترجمة الأدبية، إذن، من أصعب أنواع الترجمة مراسا، وتنجم صعوبتها من خصوصية النص الأدبي، الإبداعية والبلاغية والأسلوبية والجمالية واللسانية وخارج لسانية Extra linguistique، وفي هذا يرى الأستاذ محمد عناني أن "المترجم الأدبي لا ينحصر همه في نقل دلالة الألفاظ أو ما أسميه هنا بالإحالة Reference أي إحالة القارئ أو السامع إلى نفس الشيء الذي يقصده المؤلف أو صاحب النص الأصلي بل هو يتجاوز ذلك إلى المغزى Significance وإلى التأثير Effect، الذي يفترض أن المؤلف يعتزم إحداثه في نفس القارئ أو السامع، ولذلك فهو لا يتسلح فقط بالمعرفة اللغوية بجميع جوانبها السابقة، بل هو يتسلح أيضا بمعرفة أدبية ونقدية، ولا غنى فيها عن الإحاطة بالثقافة والفكر، أي بجوانب إنسانية قد يعفى المترجم العلمي من الإحاطة بها.

إن المعاني في النصوص الأدبية ليست ذات دلالات إيحائية فحسب، وإنما تتحكم فيها أيضا عناصر بلاغية وأسلوبية وأيقونية تملي على المترجم مقاربة خاصة ابتغاء التأثر والتأثير ؛ " فالمعنى في النص الأدبي لا يمكن تجريده من الشكل الفني الخاص بالعمل، بل ومن الأنساق الثقافية لهذا العمل "، فموسيقى النص، وإيحاءات الكناية والمجاز والحكم والأمثال الشعبية والعادات والتقاليد والأعراف ... وكل ما عساه أن يؤثر في الآخر يتطلب من المترجم منهجية خاصة أثناء الفعل الترجمي. فما هو

معيار نجاح أو جودة الترجمة الأدبية؟ أهو دقتها وأمانتها؟ أو هو مطابقتها للنص تطابقا تاما ؟ أو هو مدى اقترابها من النص الأصلي؟

عن هذه الأسئلة حاولت الدراسات المذكورة أن تجيب مركزة في مجملها على مسألة التعادل أو التكافؤ الجمالي في الترجمة الأدبية، فعلى عكس النص العلمي الذي يعنى بالمضمون فإن النصوص الأدبية تركز على ثنائية الشكل والمضمون معا، وإن كان معيار الجودة في النوع الأول هو الدقة في نقل المضمون فإن الترجمة الأدبية الجيدة " هي التي تقترب من الأصل، ليس على الصعيد المعنوي أو الدلالي فقط، بل على الصعيد الأسلوبي أو الجمالي، أي تتعادل مع الأصل جماليا ودلاليا." وهذا يتوقف على قدرة المترجم وبراعته، بوصفه القائم على تنفيذ عملية الترجمة من اللغة المصدر إلى اللغة المستهدفة؛ إنه يقوم بالدور الأساس في تحقيق نجاح العمل الأدبي من عدمه..فتحقيق التعادل الدلالي والأسلوبي بين النص الأصل والترجمة ليس بالأمر الهين، بل هو يتطلب مهارة واتقانا يستحقان التقدير.

ـ <u>الدراسات الأكاديمية حول الترجمة الأدبية بالجزائر</u>:

الرقم	عنوان الرسالة / اسم الباحث / سنة المناقشة
01	كتابة آسيا جبار أو الترجمة المزدوجة ـ فرشولي فاطمة الزهراء -2001
02	ترجمة النص الروائي بين النسخ والإبداع ـ مائة عام من العزلة لماركيز نموذجا- بوزريبة مختارية- 2001
03	صعوبة ترجمة النص المسرحي المسرحي "دراسة تحليلية مقارنة من خلال ترجمة مسرحية هملت لشكسبير"- أغيل زكية- 2003

04	مكونات الترجمة المقارنة - الشيخ والبحر- لهمنجواي نموذجا.- بن برينيس ياسمينة- 2003
05	مختارات من الأمثال الاسبانية وترجمتها إلى العربية- جميلة تلانتقيت- 2003
06	الترجمة والشعر مقاربة أولى للترجمة الشعرية- بن جدو محمد- 2005
07	ترجمة النص المسرحي بين الحرفية والتصرف- بثينة عثمانية- 2005
08	ترجمتا أحمد نظير نشوقي وحنفي بن عيسى لرواية مالك حداد Le quai aux fleurs ne répond plus دراسة نقدية مقارنة لأساليب الترجمة وتقنياتها- سهيلة مريبعي-2005
09	الترجمة وإعادة الكتابة في رواية الرعن- قاسي عبد العزيز- 2005
10	ترجمة الصور البيانية من الإنجليزية إلى العربية من خلال ترجمة مزرعة الحيوانات لجورج أوريل " دراسة تحليلية مقارنة " -عبده أحمد منصر- 2005
11	إشكالية ترجمة المؤلف لأعماله من الفرنسية إلى العربية ومن العربية إلى الفرنسية - رواية الرعن والتفكك لرشيد بوجدرة نموذجا-2006
12	المعاني الدلاية وترجمتها من الإنجليزية إلى العربية " قصة شارل ديكنز" مدينتين نموذجا- محمد رضا بوشامة- 2006
13	المعنى الضمني L'implicite في الترجمة الأدبية - دراسة تحليلية مقارنة من خلال مسرحية Les femmes savantes لموليير- فايزة محمدي بوزينة-2006

14	دراسة أساليب الترجمة في قصيدتي "على شرف الرسول " و"رحلة من تلمسان إلى مكة " ترجمة محمد بن أبي شنب- قاسمي بوجمعة دليلة- 2006
15	الأدب الجزائري في أسبانيا- منصوري عبد الرحمن-2007
16	واقع الترجمة الروائية في الجزائر - رشيد بوجدرة نموذجا - بصافي نزهة-2007
17	السرد الروائي بين الحرفية والتكييف - من العربية إلى الفرنسية- من خلال كتاب "زقاق المدق" لنجيب محفوظ ترجمة أنطون كوتن - سليمة أكزوح-2007
18	ترجمة الأمثال في اللغتين العربية والفرنسية - المال والسعادة نموذجا- مهجي محمد - 2007
19	ترجمة العامية - دراسة تطبيقية على مجموعة من الروايات العربية - رأفة العربي-2007

III- **الدراسات الأكاديمية حول الرواية الجزائرية في الجزائر:**

على الرغم من الاهتمام المتنامي الذي عرفته الدراسات النقدية الأدبية التي تناولت الرواية الجزائرية، وعلى الرغم من إقبال المترجمين على ترجمتها إلى لغات مختلفة لم تحظ الرواية الجزائرية إلا باهتمام محتشم من قبل الدراسات الأكاديمية بأقسام الترجمة مقارنة بالأدب العربي والعالمي في شموليته وتنوعه على الرغم مما لهذه الدراسات من أهمية لا تقل شأنا عن وظيفة النقد الأدبي. وتتحدد هذه الأهمية في غربلة النصوص الأدبية المترجمة، وصولاً إلى فصل الغثّ عن السمين، والجيّد عن الرديء. ومن خلال ذلك الفرز يمكن تحقيق هدفين: أولهما إرشاد

المتلقّي أو القارئ إلى الترجمة الجيدة ليقوم باستقبالها، وتحذيره من الترجمة الرديئة كي يتجنبها. إن نقد الترجمة يقوم هنا بدور إرشاديّ تجاه القارئ، بأسس وقواعد منهجية، وبالأدوات الإجرائية اللازمة التي تضع الأعمال المترجمة على المحك، وتقوم بتحليلها وتقييمها من جوانبها المتعددة، بغية التوصل إلى أحكام دقيقة وواضحة لا تستهدف إبراز محاسن ومساوئ الترجمة فحسب، وإنما "يقوم بدور إرشادي وتوجيهي اتجاه القارئ والمترجم، يعرف الأول بالنص المترجم ويحلل أهم الأخطاء الواردة فيه، أي انه يرشده إلى الترجمة الجيدة ليقوم باستقبالها ويحذره من الترجمة الرديئة كي يتجنبها، ويوجه الثاني (المترجم) إلى مواضع القوة والجودة في ترجمته ليعززها وينميها، ويدله على مواطن الضعف والفشل ليتجنبها ويصححها".[1]

ونستطيع تصنيف هذه الدراسات إلى:

1- أعمال ركزت على دراسة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وترجمته إلى اللغات الأخرى.

2- أعمال ركزت على دراسة الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية وترجمته إلى اللغات الأخرى

غير أن النوع الأول حظي بحصة الأسد من الدراسة والتمحيص واهتمت جل الدراسات بالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وترجمتها إلى اللغات الأخرى، ولعل مرد هذا الاهتمام يعود إلى خصوصية هذا النوع الأدبي نفسه، وإلى ما عرفته الرواية المكتوبة بالفرنسية من إقبال من المترجمين الجزائريين وغيرهم. فقد عرفت الرواية الجزائرية المترجمة من الفرنسية إلى العربية بدايات التأسيس أثناء الحقبة الاستدمارية وما خلفته من إنتاج سردي هام يعكس الواقع المرير للشعب الجزائري كرواية الأرض والدم "La terre et le sang" لـ"مولود فرعون"، ورواية الدار الكبيرة "La grande maison" لـ"محمد ديب"،

وراوية نجمة "Nedjma" لـ"كاتب ياسين"، ورواية الأفيون والعصا "L'opium et le Bâton" لـ"مولد معمري"، وجلّ هذه النماذج المترجمة وغيرها كان هدفها دعائي إشهاري للثورة الجزائرية، وإبرازا لقضيتها على المستوى العربي خاصة في إطار الدعم الثقافي والفكري لها من خلال التركيز على الاحتفال بالحسّ الثوري أكثر من الاحتفال بالحسّ الأدبي،وبقيت الرواية الجزائرية المترجمة تتناول هذا السياق وصولا إلى أزمة التسعينيات، وما حدث فيها.

وعموما وجدت الرواية - الجزائرية - المترجمة نفسها بفعل عوامل الانحدار السياسي والاجتماعي، والاقتصادي بعد أحداث تشرين الأول 1988م أمام واقع مرير ومستقبل مجهول بعد أن انبرت أقلام الروائيين لتكتب وتسجل ما كان يحصل من أحداث في قالب سردي زاوج بين فنية الأدب وبين واقعية الأحداث، ولا يخفى في هذا المقام أن معظم المبدعين اتجهوا إلى النقل الحرفي للحقيقة الجزائرية، فلم يكن الاهتمام باللغة الفنية واردا، وفي هذا السياق ظهر مفهوم الرواية "الاستعجالية" أو الرواية "الصحفية" هذه التسمية التي وردت من فرنسا أين كان الاهتمام برواية المحنة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، خاصة سلسلة روايات {ياسمينا خضرا}،و التي من بينها رواية "بم تحلم الذئاب".

باستثناء أربعة أو خمسة أسماء أصبحت مشهورة في الساحة الأدبية لم يعد الكتاب الجزائريون أو الفرنسيون يهتمون بترجمة الرواية المكتوبة الى اللغة الفرنسية إذ لم تصل نسبة الأعمال الجزائرية المترجمة خمس الإنتاج الروائي الجزائري المكتوب باللغة العربي، ويمكن أن نذكر هنا مارسيل بوا Marcel Bois الذي ترجم عشر روايات وبعض القصص القصيرة، وكذلك رشيد بوجدرة الذي ساهم في ترجمة أهم رواياته.

وفي هذا الإطار سجلنا عدة عناوين لدراسات أكاديمية من بينها رسالة ماجستير حول "واقع الترجمة الروائية في الجزائر- رشيد بوجدرة نموذجا-" 2007-2008. إنها دراسة تناولت واقع الترجمة الروائية في الجزائر من خلال دراسة تطبيقية لروايتي التطليق والتفكك بين الأصل والترجمة. اهتمت هذه الدراسة بأعمال الروائي رشيد بوجدرة الذي نشر إلى غاية سنة 1980 العديد من الروايات بالفرنسية، ولكنه تحول بداية من هذه السنة إلى الكتابة باللغة العربية، وهو لم يكتف بذلك وحسب بل قام أيضا بترجمة أعماله تارة إلى العربية وتارة إلى الفرنسية؛ ذلك أنه يمتلك ناصية اللغتين مما يؤهله للقيام بترجمة أعماله. وحالت هذه الدراسة الإجابة على إشكالية محورية تفرض نفسها بإلحاح هل استطاع بوجدرة أن يعيد إنتاج رواياته بصورة تحافظ على المضامين الدلالية والخصائص الأسلوبية والجمالية؟ هل استطاع أن ينقل النصوص إلى اللغة المستهدفة بصورة ناجحة؟ وبعبارة أخرى هل جاءت هذه الترجمات أمينة للنصوص الأصلية أم هي كتابات وإبداعات جديدة تمكنت من التحرر نهائيا من قبضة النصوص الأم؟

إنها الإشكاليان المحورية التي حاولت الدراسة أن تجيب عليها معتمدة دراسة تطبيقية تحليلية لروايته التطليق والتفكك، كما ركزت هذه الترجمة على ترجمة عناوين روايات بوجدرة نظرا إلى أهمية ترجمة دراسات العنونة في النقد الأدبي، فعلى سبيل المثال إن الرواية الموسومة La Répudiation قد ترجمت إلى العربية مرتين:

1- التطليق - ترجمة صلاح قرمادي.

2- الإنكار - ترجمة رشيد بوجدرة.

1- التطليق:

إن المقابل اللغوي للفظة Répudiation الفرنسية معناه الطلاق في اللغة العربية، وهي لفظة ذات مرجعية دينية وهي تستخدم في الجانب الفقهي بمعنى النفي قطعا أو ظنا وهو ما يقابل مصطلح Divorce.

2- الإنكار:

ما يمكن ملاحظته أن ترجمة الرواية بالتطليق معناه أن بوجدرة استخدم هذه الكلمة بمعناها الفقهي الذي ذهب إليه علماء الفقه والدين غير أن بوجدرة نفسه ينفي ذلك ويختار عنوانا جديدا لروايته بعد ترجمته لها إلى اللغة العربية ولم يتوقف في ترجمته للعنوان عند الحدود الدلالية الضيقة للمصطلح إنما ذهب إلى معناها الواسع الذي يتماشى مع السياق الذي استعمل فيه وقام بترجمة العنوان بـ "الإنكار".

وهي لفظة إنكار مشتقة من الفعل الرباعي "أنكر"، ومعناه في قاموس المحيط "أنكره واستنكره وتناكره جهله والمنكر ضد المعروف"[2]، بمعنى أن للفظة هذه عدة دلالات وتستخدم في عدة سياقات تركيبية تتلون وفق تلون السياق الذي يريده المتكلم.

ومن الواضح أن رشيد بوجدرة وجد أن لفظة "إنكار" تعبر عما يجيش في صدره ويدور في نفسيته. وتعكس ما يريد التعبير عنه وهو إحساسه بأن الطلاق هو فراق بين بينه وبين زوجته فتصبح بالنسبة إليه منكرة، منفية كل النفي وبعيدة عنه كل البعد.إن لفظة طلاق تجمل في طياتها مفهوم لفظة إنكار غير أنها تنتمي إلى بيئة فقهية شرعية ومن ثم آثر بوجدرة اختيار لفظة إنكار لأنها تتناسب مع سياق الحال وما يريد التعبير عنه أيضا.

إلا أننا إذا أجرينا مقارنة بسيطة بين العنوانين: الإنكار والتطليق، وجدنا لا محالة بأن الترجمة الثانية أقرب إلى المعنى والمضمون منها إلى الترجمة الأولى، أي أن لفظة التطليق أقرب إلى المعنى الكائن في النص الأصلي، منه إلى لفظة "الإنكار" التي ربما معناها يبتعد إلى سياق آخر.

إن إلقاء لمحة وجيزة عند لفظة التطليق من خلال ورودها في المصنفات القانونية يؤدي بنا إلى أنها وردت في المادة 53 من قانون الأسرة، إنه: يجوز للزوجة أن تطلب حكم التطليق عندما تصل إلى مقام يجوز لها القانون في ذلك - حسب القانون - موضحة في سبع حالات، الأمر الذي يجّوز لها الشرع القانوني أن تطلب مباشرة من زوجها التطليق بمعنى أن تطلق نفسها.

ولعل المتمعن في ترجمة عنوان الرواية بالإنكار يدرك بأن الكاتب وهو ينكر - تجاوزا- الزوجة والأولاد - الأبناء - إنما هو إنكار لمجتمع ظل منذ زمن لا يؤمن به لأسباب متعددة.

وعن أسباب إعادة بوجدرة ترجمة ورايته إلى العربية بعد ترجمة صالح قرمادي يقول بأنه لم يكن مقتنعا بأشياء من بينها العنوان في حد ذاته واحتراما لأستاذه قبل، لكن قبل وفاته قمت بإعادة قراءتها فاكتشف بأن هناك أمورا لم يتوصل إليها وبعدما وافته المنية قام بإعادة الكتابة وصدرت الرواية مترجمة إلى العربية تحت عنوان "الإنكار" تماشيا مع محتوى الرواية، ومع ما كان يطمح إليه، وحقيقة فإن أسلوب الرواية أسلوب صعب وهذا ما قاله صالح قرمادي ولذا كان صعبا بالنسبة له رغم أنه كان مختصا في اللغة العربية، واللسانيات وحتى الترجمة لأنه قام بعدة ترجمات بعد ذلك.

ووفي دراسة أخرى حول "ترجمة البعد الثقافي في النص الأدبي - رواية 'نجمة' لكاتب ياسين نموذجا'- نلاحظ أن الباحث حاول معالجة الجوانب النظرية والتطبيقية للصعوبات التي تعترض عملية ترجمة البعد

الثقافي في رواية 'نجمة' لكاتب ياسين من اللغة الفرنسة إلى اللغة العربية ومن الفرنسية إلى اللغة الإنجليزية. في محاولة لتحليل ومقارنة الترجمة الثلاث لرواية نجمة، الأولى لمحمد قوبعة (الصادرة عن ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1987)، والثانية لملكة ابيض العيسى الصادرة عن دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، ط2، 1980، والثالثة لريتشارد أوراد Richard Howard1991.

فنقل الحمولة الثقافية لمجتمع ما من لغة إلى لغة أخرى بكل ما تحمله من خلفيات عملية غير سهلة "لأن الاختلاف بين الثقافات تسبب في الحقيقة مضاعفات حادة للمترجم تفوق كثيرا ما تسببه الاختلافات في تركيب اللغة"[3]، ويتطلب نقل هذه الحمولة التمعن والدقة في البحث عن مكافئات في اللغة المنقول إليها كي تكون ملائمة للألفاظ أو العبارات الموجودة في اللغة المنقول منها.

عمدت الدراسة، أيضا، على تفحص البعد الجمالي في الترجمتين العربيتين والترجمة الإنجليزية، واعتمدت في ذلك مكونات جمالية مثل الصور البلاغية ورسم الشخصيات بالإضافة إلى دراسة مكونات أخرى تميزت بها رواية "نجمة" وهي الوصف والرمز، كما تطرقت إلى استعمال اللهجة في النص المترجم والى أي مدى استطاع المترجمون الثلاثة نقل النص الأصلي محافظين في ذلك على الأبعاد الثقافية المذكورة أنفا، فضلا عن خلق نص تتحقق فيه شعرية الترجمة ويرمى بالتالي إلى نفس مستوى إبداع النص الأصلي.

وختاما نلاحظ أن خصوصية ترجمة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ناجمة من خصوصية هذا النوع الأدبي نفسه، بوصفه مظهرا من مظاهر المثاقفة ونتيجة ملموسة لتفاعل هؤلاء مع الحس الاستعماري.

هذه أعمال تسعى إلى كشف مفهوم الهوية الوطنية والدفاع عنها وفضح وسائل الآخر وخططه الذي يحاول طمس معالم الشخصية الوطنية أو تشويهها ونفيها وتدافع عن مبدأ الانتماء والتمايز عن الآخر حتى وان اضطر إلى استعمال لغة هذا المستعمر، فمواجهة هذا المستعمر بلغة القلم واللسان التي لا تقل أهمية ولا خطورة عن الجهاد بالسلاح الذي أبلى به المجاهدون البلاء الحسن في الجبال والمدن والقرى وفي كل ربوع الوطن.[4] وكان هذا اللون الأدبي رد فعل حضاري قوي يؤكد على وجود الأمة الجزائرية وعلى جذورها التاريخية وتمايزها من جهة، وعلى الانتماء والوحدة الوطنية ومدافعا عليها بروح مقاومة وان لبست لباس الأدب من جهة أخرى. ومن ثمّ كانت الترجمات الصادرة عن مترجمين ينتمون إلى المغرب العربي أقرب إلى الجودة من نظيراتها في المشرق العربي أو أوروبا وذلك بسبب تشابه العوامل الثقافية والحضارية والتاريخية لبلدان المغرب العربي، مما يكون له تأثيرا بالغا في الوقوف على قصدية الكاتب والمعاني المستترة الموجودة بين سطوره والتي تشكل المسكوت عنه التي لا تفصح عنه الكتابات الأدبية وإنما على المترجم الوصول إليها ونقلها بكل عناية وأمانة.

هوامش:

1 - مجلة المترجم، العدد 11، يناير- جوان 2005، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة وهران1، دار الغرب، وهران، الجزائر، ص 172.

2- محمد بن يعقوب الفروز أبادي، "القاموس المحيط"، المجلد الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ص 147.

3- يوجين نيدا، نحو علم الترجمة، ترجمة ماجد النجار، مطبوعات وزارة الإعلام، العرفا، 1976. ص 311.

4- ينظر أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته وتطوره وقضاياه-الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط4، 2007.